اطّلاع الأحياء من البشر على عذاب أهل القبور وسماعهم لأصوات المعذَّبين في قبورهم

إعداد/
الدكتور/محمد بن سعيد بن حامد آل مدشة الغامدي
الأستاذ المشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

ملخص البحث

عنوان البحث: اطّلاع الأحياء من البشر على عذاب أهل القبور وسماعهم لأصوات المعذَّبين في قبورهم.

ذهب جمع من العلماء إلى أنّ الأحياء من البشر يمكن أن يُسْمِعَهم الله شيئاً من عذاب أهل القبور، ويمكن أن يطلعهم الله على شيء من ذلك، وذهب جمع من العلماء إلى أنّ الأحياء من البشر لا يسمعون شيئاً من عذاب أهل القبور، باستثناء النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_، وبعد استعراض أدلّة الفريقين يترجّح للباحث القول الثاني، وهو أنّ الأحياء من البشر لا يسمعون ولا يطّلعون على شيءٍ من عذاب أهل القبور، باستثناء النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_ لقوّة أدلّة هذا القول، وصحتها سندا، وسلامة متنها من الاضطراب، وأنّه لا يمكن معارضة الصحيح الثابت عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ بأحاديث ضعيفة، ولا بقصص يحكيها رجال غير معصومين.

Research Title: Living Humans Seeing the Torture of Buried Persons and Hearing the Voices of the Tortured in their Tombs

A group of scholars thought that living humans can hear some of the torture of the buried people and Allah may get them know some of this. On the other hand, a group of scholars thought that humans cannot hear the torture of the buried persons except for Prophet Mohammed (Peace be upon him). After showing the proofs of the two groups, the researcher weighted the second group's opinion; that humans cannot hear the torture of the buried persons, because of the strong proofs of this opinion and trueness of its sanad and text. In addition, the true hadith proved to Prophet Mohammed (Peace be upon him) cannot be projected by weak ones or stories narrated by ordinary people.

المقدمة

الحمد الله الواحد القهّار، جعل الدنيا متاعاً وجعل الآخرة هي دار القرار، وجعل القبور إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحيم الغفار، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بركاتها بالعشي والإبكار، وسلّم تسليما كثيرا ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد: فإنّ مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة هو الإيمان بنعيم القبر وعذابه، والتصديق بما أخبر الله به، وما أخبر به رسوله _صلى الله عليه وسلّم_ مما يكون في القبر من نعيم للميت أو عذاب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي _صلى الله عليه وسلم_ مما يكون بعد الموت: فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر وبنعيمه، فأما الفتنة: فإن الناس يُفتنون في قبورهم، فيُقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد _صلى الله عليه وسلم_ نبيِّي، وأما المرتاب فيقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئا فقلتُه، فيُضرب بمرزبّة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصُعِق، ثم بعد هذه الفتنة: إمّا نعيم وإمّا عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتُعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون). (١)

ومن المسائل المتعلقة بنعيم القبر وعذابه، مسألة اطّلاع الأحياء من البشر على شيء من عذاب المعذَّبين في قبورهم، والتي كَثُر الكلام عنها، وظهرت بعض التسجيلات وبعض مقاطع الفيديو التي يذكر أصحابها أنّ الأصوات الموجودة في هذه التسجيلات والمقاطع هي لأموات يعذَّبون في قبورهم، فأحببتُ أن أتناول هذه المسألة بالبحث والدراسة، وأجمع الأحاديث الواردة في هذه المسألة، وأقوال العلماء وخلافهم فيها، ثم الترجيح بين هذه الأقوال.

وقد جعلت عنوان هذا البحث:(اطّلاع الأحياء من البشر على عذاب أهل القبور وسماعهم لأصوات المعذَّبين في قبورهم)، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة:

المطلب الأول: القائلون بإمكان الاطّلاع والسماع وأدلتهم.

المطلب الثاني: القائلون بنفي الاطّلاع والسماع وأدلتهم.

المطلب الثالث: الترجيح.

الخاتمة.

و أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأسأله التوفيق والسداد،

---

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ٣/١٤٥، تحقيق/ الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

وأن يغفر الخطأ والزلل، إنّه سميع، قريب، مجيب الدعاء.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول:

(القائلون بإمكان الاطّلاع والسماع وأدلتهم)

ذهب جمع من العلماء إلى أنّ الأحياء من البشر يمكن أن يُسْمِعَهم الله شيئاً من عذاب أهل القبور، ومن هؤلاء العلماء:

١_ ابن أبي الدنيا، فقد أورد كثيرا من الروايات التي تدل على إمكان السماع. (١)

٢_ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، حيث ذكر في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) باباً عنون له بقوله:(سياق ما روي بما أرى الله أو أسمع من عذاب القبر في الصحابة والتابعين، ومن بعدهم؛ ليزدادوا إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) (٢) ثم أورد تحت هذا الباب عددا من الروايات التي استدل بها على أنّ الأحياء من البشر يمكن أن يُسْمِعَهم الله شيئاً من عذاب أهل القبور.

٣_ شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد قال _رحمه الله تعالى_:(وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذَّب، ومن يقعد بدنه أيضا إذا قَوِي الأمر، لكن هذا ليس لازما في حق كل ميت، كما أن قعود بدن النائم لِمَا يراه ليس لازما لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمور). (٣)

٤_ ابن رجب الحنبلي، فقد قال _رحمه الله تعالى_:(وقد كشف لمن يشاء من عباده من عذاب أهل القبور ونعيمهم، وقد وقع بعض ذلك في زمن النبي _صلى الله عليه وسلم_ ووقع بعده كثيرا). (٤)

٥_ ابن قيم الجوزية، فقد أورد جملة من الْأَخْبَار تتحدّث عن أناس أراهم الله _تعالى_ شيئاً من عَذَاب الْقَبْر ونعيمه عيَانًا، وقال _رحمه الله تعالى_:(فإذا شاء الله _سبحانه_ أن يُطْلِعَ على ذلك بعض عبيده اطْلَعَه وغيَّبه عن غيره، إذ لو أَطْلَعَ العبادَ كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولَمَا تدافن

---

(١) انظر كتاب: القبور، أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا، ٩٦_١٠٢، المحقق: طارق محمد سكلوع العمود، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، ١٢١٤/٦_١٢١٥، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،ط٩، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، تحقيق/د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.

(٣) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،٥٢٦/٥، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤) أهوال القبور، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ص٦٢، المحقق: عاطف صابر شاهين، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

الناس). (١)

٦_ جلال الدين السيوطي فقد أورد كثيرا من الروايات التي تدل على إمكان السماع. (٢)

٧_ الشيخ عبدالعزيز بن باز _رحمه الله تعالى_، فقد ذكر أنّه يمكن سماع عذاب بعض المعذَّبين في قبورهم، وأنّ الله _تعالى_:(يُرِي عباده العِبَر حين يُطْلِعُ بعضَ الناس على هذه الأشياء من باب التذكير، ومن باب التحذير ليعتبروا ويتذكروا، نسأل الله السلامة). (٣)

وقد استدل القائلون بسماع الأحياء من البشر لأصوات المعذَّبين في قبورهم بأدلّة كثيرة منها:

الدليل الأول:

عن عبد الرحمن بن صالح العتكي، قال: حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد الرقي، عن كلثوم بن جوشن القشيري، عن يحيى المدني، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: خرجت مرة لسفر فمررت بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا، في عنقه سلسلة من نار، ومعي إداوة من ماء، فلما رآني قال: يا عبد الله، اسقني، قال: فقلت: عرفني فدعاني باسمي، أو كلمة تقولها العرب، يا عبد الله، إذ خرج على أثره رجل من القبر، فقال: يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر، ثم أخذ السلسلة فاجتذبه وأدخله القبر، قال: ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز، إلى جانب بيتها قبر، فسمعت من القبر صوتا يقول:(بول وما بول، شن وما شن) فقلت للعجوز: ما هذا؟ قالت: كان هذا زوجا لي، وكان إذا بال لم يتق البول، وكنت أقول له: ويحك إن الجمل إذا بال تفاج، فكان يأبى، فهو ينادي منذ يوم مات: بول وما بول، قلت: فما الشن؟ قالت: جاءه رجل عطشان فقال: اسقني، فقال: دونك الشن، فإذا ليس فيه شيء، فخر الرجل ميتا، فهو ينادي منذ يوم مات: شن وما شن، فلما قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته، فنهى أن يسافر الرجل وحده. (٤)

ففي هذا الحديث أنّ ابن عمر قد سمع صوت المعذَّب في قبره، وشاهد شيئا من عذاب القبر.

وهذا الحديث ضعيف، لأنّ فيه يحيى المديني، قال عنه ابن رجب:(ويحيى المديني غير معروف). (٥)

---

(١) انظر كتاب: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، ص٦٦_٧٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) انظر كتاب: شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص١٦٣_١٨١، المحقق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٣) فتاوى نور على الدرب، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ١٦١/١٤، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٤)كتاب من عاش بعد الموت، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، ص٣٢_٣٣، حديث رقم ٣٣، تحقيق/محمد حسام بيضون، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

(٥) انظر: أهوال القبور، ابن رجب الحنبلي، ص٦٣

وفيه كلثوم بن جوشن القشيري، قال الآجري عن أبي داود: منكر الحديث، وذكره بن حبان في كتاب الضعفاء وقال عنه: لا يحل الاحتجاج به بحال، وقال بن أبي حاتم عن أبيه: ضعيف الحديث، وقال الأزدي: منكر الحديث. (١)

وفيه أبو يزيد خالد بن حيان الرقي، اختلف العلماء في توثيقه، فعن أحمد قال:(قَدِمَ علينا لم يكن به بأس ،كان يروي عن جعفر عن أبيه ،كتبنا عنه غرائب)، وقال ابن معين وابن عمار ثقة، وقال عمرو بن علي ضعيف، وقال علي بن ميمون الرقي عنه:(كان منكرا وكان صاحب حديث) قال الخطيب:(قوله منكرا يعني: في الضبط والتحفظ وشدة التوقّي والتحرز)، وقال النسائي: ليس به بأس: وقال الدارقطني لا بأس به، وقال ابن سعد كان ثقة ثبتا، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر له ابن خزيمة في صحيحه أحاديث منها ما استنكره. (٢)

الدليل الثاني:

ذكر اللالكائي، عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير قال:(كنتُ مع سالم بن عبد الله فمررنا بماء الرويثة، فأتينا مقابرها، فرأيت سالم بن عبد الله تغير لونه وجعل يدعو وقال: حدثني أبي أنه مرّ بهذا الماء قال: حتى انتهيت إلى هذه المقبرة فإذا رجل قد خرج من قبر منها، تشتعل نار، أو سلسلة من نار في عنقه، ثم خرج من القبر رجل آخر بالسلسلة وفي يده سوط من نار، فقال: يا عبد الله أفرغ علي من الماء مرتين، أو ثلاثا، فلما رأته راحلتي نفرت، فجعلت أخشى أن تكبّني وأنا أضبطها، فقلت: أَعرَفني بعيني أم هذه لغة؟ فقال الذي السلسلة في يده والسوط في يده: يا عبد الله، الله الله لا تفرغ عليه من الماء ثلاثا، فإنه كافر، ثم ضربه وجذبه حتى أعاده في القبر). (٣)

ففي هذا الحديث أنّ ابن عمر قد سمع صوت المعذَّب في قبره، وشاهد شيئا من عذاب القبر.

وهذا الحديث ضعيف لأنّ فيه عمرو بن دينار البصري أبو يحيى الأعور، قهرمان آل الزبير بن شعيب البصري، قال عنه ابن عليه :كان لا يحفظ الحديث، وعن أحمد قال: ضعيف منكر الحديث، وعن

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٤٤٢/٨، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

(٢) انظر: تهذيب التهذيب، الحافظ ابن حجر، ٨٤/٣

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، ١٢١٥/٦

وقد رواه ابن أبي الدنيا أيضا عن عمرو بن دينار قهرمان (أي: مولى) آل الزبير انظر:(من عاش بعد الموت، ص٣٣، حديث رقم (٣٤).

وقد ذكر اللالكائي رواية أخرى لهذا الأثر من طريق مالك بن دينار عن سالم بن عبدالله بن عمر (انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١٢١٤/٦) وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالى في أهوال القبور عن هذه الرواية:(وخرّجه اللالكائي في كتاب السنّة من حديث السري بن يحيى عن مالك بن دينار أنه سمعه من سالم بن عبد الله يحدثه عن أبيه، وهو خطأ، إنما سمعه مالك عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير يحدثه عن سالم). انظر:(أهوال القبور، ص٦٣).

بن معين أنّه لا شيء وأنّه ذاهب الحديث، وقال عمرو بن علي: ضعيف الحديث روى عن سالم عن بن عمر عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ أحاديث منكرة، وقال أبو حاتم: وعامة حديثه منكر، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، وقال البخاري: فيه نظر، وقال أبو داود في حديثه: ليس بشيء: وقال الترمذي: ليس بالقوي: وقال النسائي: ليس بثقة روى عن سالم أحاديث منكرة، وقال بن حبان: لا يحل كَتْبُ حديثه إلّا على جهة التعجّب كان يتفرّد بالموضوعات عن الاثبات، وقال البخاري في الأوسط: لا يتابع على حديثه، وقال بن عمار الموصلي: ضعيف، وقال العجلي: يُكتب حديثه وليس بالقوي، وقال الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وقال الساجي: ضعيف يحدّث عن سالم المناكير. (١)

الدليل الثالث:

قال الطبراني: حدثنا محمد بن أبي غسان، حدثنا عمرو بن يوسف بن يزيد البصري، حدثنا عبد الله بن محمد بن المغيرة، عن مالك بن مِغْوَل، عن نافع، عن ابن عمر قال: بينا أنا سائر، بجنبات بدر، إذ خرج رجل من حفير، في عنقه سلسلة، فناداني: يا عبد الله اسقني، يا عبد الله اسقني، فلا أدري، أَعَرَفَ اسمي أو دعاني بدعاية العرب، وخرج أسود من ذلك الحفير، في يده سوط، فناداني: يا عبد الله، لا تسقه، فإنه كافر، ثم ضربه بالسوط حتى عاد إلى حفرته، فأتيت النبي _صلى الله عليه وسلم_ مسرعا، فأخبرته، فقال لي:(أَوَقد رأيتَه؟) قلت: نعم، قال:(ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام، وذاك عذابه إلى يوم القيامة) قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن مالك بن مغول إلا عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفي. (٢)

ففي هذا الحديث أنّ ابن عمر قد سمع صوت المعذَّب في قبره، وشاهد شيئا من عذاب القبر.

وهذا الحديث ضعيف؛ لأنّ فيه: عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفي، قال عنه أبو حاتم: ليس بقوى، وقال ابن يونس: منكر الحديث، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، قال النسائي: روى عن الثوري ومالك بن مغول أحاديث كانا أتقى الله من أن يحدّثا بها. (٣)

الدليل الرابع:

عن أبي بكر المديني، قال: حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثني يحيى بن أيوب الغافقي، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن الحويرث بن الرباب، قال: بينا أنا بالأثاثة، إذ خرج علينا إنسان من قبره يلتهب وجهه ورأسه نارا وهو في جامعة من حديد فقال: اسقني اسقني من الإداوة، وخرج إنسان في إثره فقال: لا تسق الكافر لا تسق الكافر فأدركه فأخذ بطرف السلسلة، فجذبه فكبه، ثم جره حتى دخلا القبر جميعا، قال الحويرث: فضرَبَت بي الناقة لا أقدر منها

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب، الحافظ ابن حجر، ٣١/٣٨

(٢) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، ٣٣٥/٦، حديث رقم(٦٥٦٠)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ٤٨٧/٢_٤٨٨، ترجمة رقم:(٤٥٤١)، تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.

على شيء حتى الْتَوَت بعِرْق الظبية، فبرَكت، فنَزَلْتُ فصليت المغرب والعشاء الآخرة، ثم ركبت حتى أصبحت بالمدينة، فأتيت عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ فأخبرته الخبر فقال: يا حويرث:(والله ما أتهمك ولقد أخبرتني خبرا شديدا) ثم أرسل عمر إلى مشيخة من كنفي الصفراء قد أدركوا الجاهلية ثم دعا الحويرث فقال:(إنّ هذا قد أخبرني حديثا ولست أتهمه حدّثهم يا حويرث ما حدثتني)، فحدّثتهم فقالوا: قد عرفنا يا أمير المؤمنين، هذا رجل من بني غفار مات في الجاهلية، فحمد الله عمر، وسُرَّ بذلك حيث أخبروا أنه مات في الجاهلية، وسألهم عمر عنه، فقالوا: يا أمير المؤمنين كان رجلا من رجال الجاهلية ولم يكن يرى للضيف حقا.(١)

ففي هذا الحديث أنّ الحويرث بن الرباب قد سمع صوت المعذَّب في قبره، وشاهد شيئا من عذاب القبر.

وهذا الحديث ضعيف لأنّ فيه: يَحْيَى بنُ أَيُّوْبَ أَبُو العَبَّاسِ الغَافِقِيُّ، قال أحمد بن حنبل: هو سيئ الحفظ، وروى: إسحاق الكوسج عن ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: محله الصدق، ولا يحتج به، وقال أبو عبيد الآجري: قلتُ لأبي داود: يحيى بن أيوب ثقة؟ قال: هو صالح، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال مرة: ليس بالقوي، وقال الذهبي: له غرائب ومناكير يتجنّبها أرباب الصحاح، وينقّون حديثه، وهو حسن الحديث(٢).

وفيه أيضاً: أبو بكر المديني الفضل بن مبشر، وثقه ابْن حِبَّان وَضَعَّفَهُ ابن معين وجماعة(٣)، وقال عنه أبو زرعة الرازي: ليّن الحديث(٤).

الدليل الخامس:

قال ابن أبي الدنيا في كتابه القبور: حدثني أبي، ثنا موسى بن داود، ثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: بينما راكب يسير بين مكة والمدينة، إذ مر بمقبرة، فإذا رجل قد خرج من قبره يلتهب ناراً مصفّدا بالحديد، فقال: يا عبد الله انضح، يا عبد الله انضح، قال: وخرج آخر يتلوه فقال: يا عبد الله لا تنضح، يا عبد الله لا تنضح، قال: وغشي على الراكب وعدلت به راحلته إلى الموج، قال: وأصبح وقد ابيضَّ شعره حتى صار كأنه نعامة، قال: فأُخْبِر عثمان بذلك، فنهى أن يسافر

(١) من عاش بعد الموت، ابن أبي الدنيا، ص٥٠، حديث رقم (٥٦)

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ٨/٥_٦، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٣) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ٢٧٤/٢، تحقيق/حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، بيروت.

(٤) انظر: كتاب الضعفاء لأبي زرعة الرازي في أجوبته على أسئلة البرذعي، ٨٢٢/٣، تحقيق/سعدي بن مهدي الهاشمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الرجل وحده. (١)

ففي هذا الحديث أنّ رجلا قد سمع صوت المعذَّب في قبره، وشاهد شيئا من عذاب القبر.

وهذا الحديث ضعيف لأنّ فيه موسى بن داود الضبي، ثقة، قال عنه ابن أبي حاتم: موسى بن داود في حديثه اضطراب. (٢)

وفيه حماد بن سلمة بن دينار البصري، قال عنه البيهقي: هو أحد أئمة المسلمين، إلا أنّه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخاري، وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره، وما سوى حديثه عن ثابت لا يبلغ اثني عشر حديثا أخرجها في الشواهد، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وربما حدث بالحديث المنكر. (٣)

وفيه هشام بن عروة بن الزُّبير بن العَوَّام، قال عنه أبو حاتم: ثقة، إمامٌ في الحديث، وقال يعقوب بن شيبة: ثبت ثقة، لم يُنْكَر عليه شيء إلّا بعد ما صار إلى العراق، فإنّه انبسط في الرِّواية عن أبيه فأنكر عليه أهلُ بلده، وقال ابن خِرَاش: كان مالك لا يرضاه، وكان هشام صَدُوقاً تدخل أخباره في الصَّحيح، وقَدِم الكوفة ثلاثَ مرات. (٤)

الدليل السادس:

قال ابن أبي الدنيا في كتابه القبور: حدثنا أبي، ثنا هشيم، ثنا مجالد، عن الشعبي: إن رجلا قال للنبي _صلى الله عليه وسلّم_ إنّي مررتُ ببدر فرأيتُ رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الأرض، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارا، فقال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_:(ذاك أبو جهل بن هشام، يعذَّب إلى يوم القيامة). (٥)

ففي هذا الحديث أنّ رجلا قد سمع صوت المعذَّب في قبره، وشاهد شيئا من عذاب القبر.

وهذا الحديث ضعيف لأنّ فيه مُجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام، كان يحيى بن سعيد يضعّفه، وكان بن مهدي لا يروي عنه، وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئا، وقال بن المديني: قلتُ ليحيى بن سعيد: مجالد؟ قال: في نفسي منه شيء، وقال أبو طالب عن أحمد: ليس بشيء، وقال الدوري عن بن

---

(١)القبور، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، ص٩٦، حديث رقم (٩٥)، تحقيق/طارق محمد سكلوع، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي، ١٤١/٨، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ ١٩٥٢م.

(٣) انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١١/٣_١٦

(٤)انظر: التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل ومَعْرِفة الثِّقَات والضُّعفاء والمجَاهِيل، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ٤٨١/١، دراسة وتحقيق: د/شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

(٥) القبور، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، ص٩٣، حديث رقم (٩٢)

معين لا يُحتج بحديثه، وقال بن أبي خيثمة عن بن معين: ضعيف واهي الحديث، وقال بن سعد: كان ضعيفا في الحديث، وقال بن حبان لا يجوز الاحتجاج به.(١)

كما أنّ الحديث مرسل؛ لأنّ الشعبي لم يدرك زمن النبي _صلى الله عليه وسلّم_ فقد وُلِد في زمن عمر _رضي الله عنه_.(٢)

وعند النظر في الأحاديث السابقة نجد اضطرابا في متنها يضاف إلى ضعف أسانيدها، ففي بعض الأحاديث أن القصة وردت عن ابن عمر في عهد النبي _صلى الله عليه وسلّم_، وفي رواية أنّها في عهد عمر _رضي الله عنه_، وفي رواية أنّها في عهد عثمان _رضي الله عنه_، فلا يمكن مع ضعف السند واضطراب المتن أن نعارض بهذه الأحاديث ما صح عن النبي _صلى الله عليه وسلّم_ مما يرويه أصحاب الصحيحين عن الثقات من أنّه لا يمكن للإنسان سماع أصوات المعذبين في قبورهم، فضلا عن رؤية شيء من عذابهم بالعين المجرّدة، وسيأتي ذكر هذه الأحاديث عند ذكر أدلة القائلين بنفي سماع الأحياء من البشر لأصوات المعذّبين في قبورهم.

الدليل السابع:

عن إسحاق بن إسماعيل، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن داود بن شابور، عن أبي قزعة _رجل من أهل البصرة_ عنه أو عن غيره، قال: مررنا في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة، فسمعنا نهيق حمار، فقلنا لهم: ما هذا النهيق؟ قالوا: هذا رجل كان عندنا، كانت أمه تكلمه بشيء، فيقول لها: انهقي نهيقك، وكانت أمه تقول: جعلك الله حمارا، فلما مات سُمِع هذا النهيق عند قبره كل ليلة. (٣)

ففي هذا الحديث أنّ رجلا قد سمع صوت المعذَّب في قبره.

وهذا الحديث فيه جهالة، فإنّنا لا نعرف صاحب القصة هل هو أبو قزعة أم غيره.

الدليل الثامن:

عن محمد بن جعفر، قال: حدثنا منصور بن عمار، قال: حدثنا أبو الصلت شهاب بن خراش، عن عمه العوام بن حوشب، عن مجاهد، قال: أردت حاجة، فبينما أنا في الطريق، إذ فاجأني حمار قد أخرج عنقه من الأرض، فنهق في وجهي ثلاثا، ثم دخل، فأتيتُ القوم الذين أريدهم، قالوا: ما لنا نرى لونك قد حال؟ فأخبرَهم الخبر، فقالوا: ما تعلم من ذاك؟ قلتُ: لا، قالوا: ذاك غلام من الحي، وتلك أمه في ذلك الخباء، وكانت إذا أمرتْهُ بشيء شتمها وقال: ما أنت إلا حمار، ثم نهق في وجهها وقال: ها ها ها، فمات يوم مات، فدفنّاه في تلك الحفيرة، فما من يوم إلّا وهو يُخرج رأسه في الوقت الذي دفنّاه فيه،

(١) انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٣٩/١٠

(٢) انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٦٨/٥

(٣) من عاش بعد الموت، ابن أبي الدنيا، ص٢٧، حديث رقم (٢٦)

فينهق إلى ناحية الخباء ثلاث مرات، ثم يدخل. (١)

ففي هذا الحديث أنّ مجاهد قد سمع صوت المعذَّب في قبره، وشاهد شيئا من عذاب القبر.

وهذا الحديث ضعيف لأنّ فيه منصور بن عمار الواعظ، قال عنه أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: منكر الحديث، وقال الدارقطني: يروي عن ضعفاء أحاديث لا يُتابع عليها، وساق له ابن عدي أحاديث تدل على أنه واه في الحديث. (٢)

وفيه شهاب بن خراش، قال عنه الذهبي: صدوق مشهور له ما يُستَنكر، وقال ابن حبان في الضعفاء: يخطئ كثيرا. (٣)

الدليل التاسع:

عن أبي بكر محمد بن المغيرة الشهرزوري، قال: حدثنا أبو توبة، قال: حدثنا شهاب بن خراش، عن عمه العوام بن حوشب، عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: كان رجل إذا كلمته أمه نهق في وجهها ثلاثا، ثم قال لها: إنما أنت حمار، فمات فكان يخرج من قبره كل يوم بعد صلاة العصر، يخرج من قبره رأس حمار إلى صدره، فينهق ثلاثا، ثم يعود إلى قبره. (٤)

ففي هذا الحديث أنّه يمكن أن يُسْمَع صوت المعذَّب في قبره، وأن يُشَاهَد شيءٌ من عذابه في القبر.

وهذا الحديث ضعيف لأنّ فيه مُحَمد بْن المغيرة الشهرزوري، قال عنه ابن عدي:(يسرق الحديث، وَهو عندي ممن يضع الحديث). (٥)

الدليل العاشر:

وَأخرج الْبَيْهَقِيّ فِي دَلَائِل النُّبُوَّة قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا علي بن حمشاذ العدل إملاء، حدثنا عبد الله بن موسى بن أبي عثمان، حدثنا سهل بن زنجلة الرازي، حدثنا الصباح بن محارب، عن عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة، عن أبيه قال: مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقابر ، فسمعتُ ضغطة في قبر فقلتُ: يا رسول الله: سمعتُ ضغطة في قبر؟ قال: وسمعتَ يا يعلى؟ قلتُ: نعم، قال:(فإنه يُعذَّب في يسير من الأمر)، قلتُ: وما هو _جعلني الله فداك_؟ قال:(كان رجلا فتّانا يمشي بين الناس بالنميمة، وكان لا يتنزّه عن البول، قم يا يعلى إلى هذه النخلة؟ فأتني منها بجريدة)، فجئتُه بها، فشقها باثنتين فقال:(اغرس إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه فلعله أن يرفّه

---

(١) من عاش بعد الموت، ابن أبي الدنيا، ص٢٨، حديث رقم (٢٧)

(٢) انظر: ميزان الاعتدال، ٤/١٨٧_١٨٨

(٣)انظر: ميزان الاعتدال، ٢/٢٨١

(٤) من عاش بعد الموت، ابن أبي الدنيا، ص٢٩، حديث رقم (٢٨)

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، ٧/٥٤١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٨،١ه ١٩٩٧م.

أو يخفف عنه، ما لم ييبس هاتان). (١)

ففي هذا الحديث أنّ الصحابي قد سمع صوت المعذَّب في قبره، مثل ما سمعه النبي _صلى الله عليه وسلّم_.

وهذا الحديث ضعيف لأنّ فيه عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي، قال عنه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي منكر الحديث، وقال أبو حاتم أيضا: متروك الحديث، وقال بن معين أيضا، ليس بشيء، وقال أبو زرعة: ليس بقوي، وقال الدارقطني: متروك، وقال الساجي: عنده مناكير، وذكره العقيلي في الضعفاء. (٢)

فهذه هي الأدلّة التي استدلّ بها من قال بإمكان الأحياء من البشر أن يسمعوا أو يشاهدوا شيئا من عذاب القبر من باب التذكير، والعظة والعبرة، ليزدادوا إيمانا.

ومن خلال ما سبق تبيّن أنّ هذه الأدلة لا تخلو أسانيدها من ضعف، كما أنّها معارضة لما جاءت به الأحاديث الصحيحة والتي رواها الشيخان في صحيحيهما، وسيأتي بيانها في المطلب التالي بإذن الله _تعالى_.

المطلب الثاني:

(القائلون بنفي الاطّلاع والسماع وأدلتهم)

ذهب جمع من العلماء إلى أنّ الأحياء من البشر لا يسمعون شيئاً من عذاب أهل القبور، باستثناء النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_ واستدلوا على ذلك بما يلي:

الدليل الأوّل:

روى البخاري في صحيحه، عن ابن عباس _رضي الله عنهما_، قال: مرَّ رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ على قبرين، فقال:(إنّهما ليعذّبان، وما يعذّبان في كبير، أمّا هذا: فكان لا يستتر من بوله، وأمّا هذا: فكان يمشي بالنميمة)، ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين، فغرس على هذا واحدا، وعلى هذا واحدا، ثم قال:(لعله يُخَفَّف عنهما ما لم ييبسا). (٣)

وفي رواية أخرى عند البخاري، عن ابن عباس _رضي الله عنهما_، قال: مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم_ بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذَّبان في قبورهما، فقال النبي _صلى الله عليه وسلم_:(يعذَّبان، وما يعذبان في كبير) ثم قال:(بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله،

---

(١) دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق/ د. عبد المعطي قلعجي،٧ /٤٢، باب ما جاء في سماع يعلى بن مرة ضغطة في قبر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٧/٤٧٠_٤٧١

(٣) صحيح البخاري، ٨/١٧، كتاب الأدب، باب الغيبة، حديث رقم (٦٠٥٢)، تحقيق/محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

وكان الآخر يمشي بالنميمة). (١)

وهذا الحديث فيه إثبات سماع النبي ـصلى الله عليه وسلّمـ لأصوات المعذَّبين في قبورهم.

الدليل الثاني:

روى البخاري في صحيحه، عن البراء بن عازب، عن أبي أيوب ـرضي الله عنهمـ، قال: خرج النبي ـصلى الله عليه وسلمـ وقد وجبت الشمس، فسمع صوتا فقال:(يهودُ تعذَّب في قبورها). (٢)

ورواه مسلم، عن البراء، عن أبي أيوب، قال: خرج رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ، بعد ما غربت الشمس فسمع صوتا، فقال:(يهود تُعَذَّب في قبورها). (٣)

وهذا الحديث فيه إثبات سماع النبي ـصلى الله عليه وسلّمـ لأصوات المعذَّبين في قبورهم.

الدليل الثالث:

روى البخاري في صحيحه، عن عائشة ـرضي الله عنهاـ، قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما، و لم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليَّ النبي ـصلى الله عليه وسلمـ، فقلت له: يا رسول الله، إنّ عجوزين، وذكرتُ له، فقال:(صَدَقَتَا، إنهم يعذَّبون عذابا تسمعه البهائم كلّها) فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. (٤)

وهذا الحديث فيه إثبات سماع البهائم لأصوات المعذَّبين في قبورهم.

الدليل الرابع:

روى مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت ـرضي الله عنهـ، قال: بينما النبي ـصلى الله عليه وسلمـ في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال:(من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟) فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال:(إنّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يُسْمِعَكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: (تعوّذوا بالله من عذاب النار)، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال:(تعوّذوا بالله من عذاب القبر)، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال:(تعوّذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن)، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال:(تعوّذوا بالله من فتنة الدجال)، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال. (٥)

وروى مسلم أيضاً في صحيحه عن أنس ـرضي الله عنهـ، أنّ النبي ـصلى الله عليه وسلمـ، قال:(لولا أن لا تدافنوا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، ٥٣/١، حديث رقم (٢١٦)

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ٩٩/٢، حديث رقم(١٣٧٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ٢٢٠٠/٤، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، ٧٨/٨، حديث رقم (٦٣٦٦).

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، ٤١١/١

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ٢١٩٩/٤

لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر). [١]

فالحديث فيه أنّ النبي ـصلى الله عليه وسلمـ أشفق على أمّته، وخشي أن يسمعوا أصوات المعذّبين في قبورهم فيتركوا التدافن.

قال القرطبي:(قال علماؤنا: وإنّما حادت به البغلة لِمَا سمعت من صوت المعذّبين وإنّما لم يسمعه من يعقل من الجنّ والإنس؛ لقوله ـعليه الصلاة والسلامـ:(لولا أن لا تدافنوا) الحديث، فكتمه الله ـسبحانهـ عنّا حتى نتدافن بحكمته الإلهية، ولطائفه الربّانية؛ لغلبة الخوف عند سماعه، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن، أو يهلك الحي عند سماعه، إذ لا يُطاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار؛ لضعف هذه القوى، ألَا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس، وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كل من يليه؟ وقد قال ـصلى الله عليه وسلمـ في الجنازة:(ولو سمعها انسان لصُعِق) قلتُ: هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان، فكيف إذا حلَّ به الخزي والنكال، واشتد عليه العذاب والوبال؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنه). [٢]

وقال الشيخ الألباني:(النبي ـصلى الله عليه وآله وسلمـ يسمع ما لا يسمع الناس، وهذا من خصوصياته ـعليه الصلاة والسلامـ، كما أنه كان يرى جبريل ويكلمه، والناس لا يرونه ولا يسمعون كلامه). [٣]

وقال الشيخ صالح الفوزان:(عذاب القبر من علم الله الذي لا يعلمه إلا الله، فالتعذيب في القبر هذا من علم الغيب، ومن أمور الآخرة، لم يطّلع عليها إلّا رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ، فإنّ الله يُطْلِعه على شيء من الغيب، قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن:٢٧]). [٤]

الدليل الخامس:

روى البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري ـرضي الله عنهـ، قال: كان النبي ـصلى الله عليه وسلمـ يقول:(إذا وُضِعَت الجنازة، فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كلُّ شيء إلّا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصُعِق). [٥]

وهذا الحديث فيه إثبات أنّ الإنسان لا يسمع صوت الميت.

وذكر الحافظ ابن حجر أنّ معنى قول النبي ـصلى الله عليه وسلمـ:(لصُعِق) أي: لغُشِيَ عليه من شدة ما يسمعه، وربَّما

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ٤/٢٢٠٠

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ص٤٠٨، تحقيق ودراسة: الدكتور/الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٣)موسوعة العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني في العقيدة، ٨/٢٧٥، صَنَعَهُ/شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

(٤) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، صالح بن فوزان الفوزان،ص٢٢٠، مكتبة الرشد، الرياض،ط٣، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة: قدّموني، ٢/٨٦، حديث رقم(١٣١٦)

أُطْلِقَ ذلك على الموت، وسبب الصعق هو دعاء غير الصالح على نفسه بالويل وأنّه يصيح بصوت منكر لو سمعه الإنسان لغشي عليه، وقد قيل إنّ هذا الصوت الذي يسبب الصعق مختص بالميت الذي هو غير صالح، وأمّا الصالح فمن شأنه اللطف والرفق في كلامه فلا يناسب الصعق من سماع كلامه، وقيل إنّ الصعق يحصل أيضاً من سماع كلام الصالح لكونه غير مألوف، كما ذكر ابن حجر بأنّه قد استُدِلَّ بالحديث على أن كلام الميت يسمعه كل حيوان ناطق وغير ناطق ولا يستثنى من ذلك إلّا الإنسان كما هو ظاهر الخبر، وإنما اختصَّ الإنسان بذلك إبقاءً عليه.(١)

وقد جاء في هذا الحديث استثناء الإنسان فقط:(يسمع صوتها كلُّ شيء إلّا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصُعِق) بينما في الحديث السادس الذي سيأتي، استثني فيه الجن والإنس:(فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)، وبيان ذلك أن كلام الميت على أعناق الرجال حين حمله لا يقتضي وجود الصعق والفزع إلا من الآدمي لكونه لم يألف سماع كلام الميت، بخلاف الجن في ذلك، وأمّا الصيحة التي يصيحها المضروب فإنها غير مألوفة للإنس والجن جميعا، لكون سببها عذاب الله، ولا شيء أشد منه على كل مكلف، فاشترك فيه الجن والإنس. (٢)

الدليل السادس:

روى البخاري في صحيحه، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ قال:(العبدُ إذا وُضِع في قبره، وتولّى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل محمد ـصلى الله عليه وسلمـ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنّة)، قال النبي ـصلى الله عليه وسلمـ:(فيراهما جميعا، وأمّا الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين).(٣)

وهذا الحديث فيه إثبات أنّ الإنسان لا يسمع أصوات المعذَّبين في قبورهم.

قال العيني:(فإن قلتَ: ما الحكمة في منع الثقلين من سماع صيحة ذاك المعذّب بمطرقة الحديد؟ قلتُ: لو سَمِعَا لارتفع الابتلاء، وصار الإيمان ضروريا، ولأعرضوا عن التدابير والصنائع ونحوهما مما يتوقف عليه بقاؤهما)، وقال أيضاً:(فمنع الله ـتعالى الثقلينـ الذين هما في دار الدنيا، سماع عقوبته وجزائه في الآخرة، وأسمعه سائر خلقه) (٤).

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين:(ينتقل الميت بموته إلى عالم البرزخ، وهو عالَم آخر غير الذي قضى عمره فيه، وهذا العالَم الغيبي ليس لأحدٍ أن يثبت فيه شيئاً، أو ينفيه، إلا بدليل من الكتاب والسنَّة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة تثبت تكلم الميت وهو محمول على الأكتاف لدفنه، وأيضاً وهو في قبره، وثبت في تلك الأحاديث وغيرها أنّ الأحياء لا يسمعون ذلك الكلام الذي قاله الميت، أما الموضع الأول فقد استثنى النبي ـصلى الله عليه وسلمـ الإنس من السماع، وأما الموضع الثاني: فقد استثنى الإنس والجن) (٥).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٨٥/٣، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٨٥/٣

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال، ٩٠/٢، حديث رقم(١٣٣٨)

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني، ١٤٥/٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٤٨٣/٨، جمع وترتيب/فهد بن ناصر بن إبراهيم

المطلب الثالث:

(الترجيح)

بعد استعراض أدلّة الفريقين يترجّح للباحث القول الثاني، وهو أنّ الأحياء من البشر لا يسمعون ولا يطّلعون على شيءٍ من عذاب أهل القبور، باستثناء النبي محمد ــصلى الله عليه وسلمــ وسبب الترجيح لهذا القول ما يلي:

١ــ أنّ أدلّته أصح سندا، وغير مضطربة متنا، فكل الأحاديث التي تم ذكرها لأصحاب القول الثاني مذكورة في الصحيحين، وبعضها مما اتفق عليه الشيخان.

٢ــ أنّ الأدلةّ صرّحت بأنّ النبي محمد ــصلى الله عليه وسلمــ يسمع أصوات المعذبين في قبورهم، وكذلك البهائم، وقد جاء في الأحاديث أنّ الجنازة إذا حملها الرجال على أعناقهم فإنّها تتكلّم، فإن كانت صالحة قالت: قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كلُّ شيء إلّا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصُعِق، فجاء استثناء الإنسان من سماع صوت الميت على أعناق الرجال.

وجاء في الأحاديث أنّ الكافر والمنافق يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين، فجاء استثناء الجن والإنس من سماع صوت الكافر وهو يُعذّب في قبره.

وكل ذلك ثبت بأحاديث صحيحة منها ما هو متفق عليه بين البخاري ومسلم، ومنها ما راواه أحدهما.

٣ــ أنّ الأدلّة التي استدلّ بها أصحاب القول الأول لا تخلو من مقال، فأسانيدها ضعيفة، وفي متنها اضطراب، فقصة الرجل الذي رأى رجلا يخرج من القبر يتأجج نارا، في عنقه سلسلة من نار، قد جاء ذكرها عن ابن عمر ــرضي الله عنهــ وأنّها في عهد الرسول ــصلى الله عليه وسلمــ، وجاء ذكرها أنّها في عهد عمر ــرضي الله عنهــ وجاء ذكرها أنّها كانت في عهد عثمان ــرضي الله عنهــ.

ولا يمكن أن نأتي إلى أحاديث ضعيفة السند مضطربة المتن، فنعارض بها أحاديث صحيحة منها ما هو متفق عليه بين البخاري ومسلم، ومنها ما راواه أحدهما.

٤ــ أنّ عدم اطّلاع الإنسان أو سماعه لعذاب أهل القبور فيه حكم عظيمة، وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين بعض هذه الحِكَم فقال:(أن في إخفاء ذلك ستراً للميت، وأنّ فيه عدم إزعاج لأهله؛ لأن أهله إذا سمعوا ميتهم يعذَّب ويصيح: لم يستقر لهم قرار، وعدم تخجيل أهله؛ لأنّ الناس يقولون: هذا ولدكم! هذا أبوكم! هذا أخوكم! وما أشبه ذلك). [1]

وهذا صحيح؛ فلو أنّ أبا أو أمّاً أو أخاً أو أختاً أو ابناً أو بنتاً يسمعون عذاب ابنهم أو أخيهم أو أباهم أو أمّهم، كيف سيكون حالهم، في الحقيقة أنّ هذا عذابا لهم، فزيادة على ألم فراق ميتهم يسمعون عذابه فيزداد ألمهم وعذابهم وحسرتهم.

فالرجل الذي يخرج من قبره كلَّ يوم بعد صلاة العصر، يخرج من قبره رأس حمار إلى صدره، فينهق ثلاثا، ثم يعود إلى قبره، وأمّه في الخباء تنظر إليه، أليس هذا عذابا لها وهي تنظر إلى ابنها وهو يعذَّب كل يوم.

٥ــ كان النبي ــصلى الله عليه وسلمــ يقول:(إذا وُضِعَت الجنازة، فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كلُّ شيء إلّا الإنسان، ولو سمع

السليمان، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٤٨٣/٨

الإنسان لصُعِق). [١]

ففي هذا الحديث أنّ الإنسان لو سمع الميت وهو يتكلّم على أعناق الرجال قائلاً:(يا ويلها أين يذهبون بها) لغُشِيَ عليه من شدة ما يسمعه، وربَّما مات، فكيف بالله نصدِّق بأنّ رجلاً مرَّ بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا، في عنقه سلسلة من نار، ويكلّمه، ويخرج على أثره رجل من القبر، ويأخذ السلسلة ويجتذبه ويدخله القبر، ثمّ لا يغشى عليه من هول المنظر؟!!.

أيّهما أشد سماع الميت وهو يقول: يا ويلها أين يذهبون بها، أم منظر رجل يخرج من القبر يتأجج نارا وفي عنقه سلسلة من نار؟

٦ــ قال الشيخ ابن عثيمين ــرحمه الله تعالى:(لو سمع الناس صراخ هؤلاء المعذَّبين لكان الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة، لا من باب الإيمان بالغيب، وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان؛ لأنّ الناس سوف يؤمنون بما شاهدوه قطعاً؛ لكن إذا كان غائباً عنهم، و لم يعلموا به إلا عن طريق الخبر صار من باب الإيمان بالغيب). [٢]

٧ــ أنّ القصص التي تُذكر عن رجال سمعوا أصوات المعذّبين في قبورهم، أو اطّلعوا على شيء من عذاب أهل القبور، قد تكون من باب الوهم، وقد تكون عن طريق الجن والشياطين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــرحمه الله تعالى:(ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه، وشخص يراه، وتصرّف عجيب، ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت، وكلمه وعانقه، وهذا يُرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنّما هو شيطان، فإن الشيطان يتصوّر بصور الإنس، ويدّعي أحدهم أنّه النبي فلان، أو الشيخ فلان، ويكون كاذبا في ذلك، وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذِكْرِه، وهي كثيرة جدّاً، والجاهل يظنّ أنّ ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلمه هو المقبور، أو النبي، أو الصالح، وغيرهما، والمؤمن يعلم أنّه شيطان). [٣]

لذلك فإنّ الذي يترجّح للباحث أنّه لا يمكن لأحد من الأحياء من البشر أن يطّلع على شيء من عذاب القبر، أو يسمع شيئا من عذاب أهل القبور، والله تعالى أعلم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة: قدّموني، ٨٦/٢، حديث رقم(١٣١٦)

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٤٨٣/٨

(٣)مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٦٨/١

الـــخـــاتـــمـــة

ذهب جمع من العلماء إلى أنّ الأحياء من البشر يمكن أن يُسْمِعَهم الله شيئاً من عذاب أهل القبور، ويمكن أن يطلعهم الله على شيء من ذلك، فإذا شاء الله _سبحانه_ أن يُطلع على ذلك بعض عبيده اطْلعه وغيَّبه عن غيره، وممن قال بذلك: ابن أبي الدنيا، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، وابن رجب الحنبلي، والسيوطي، والشيخ ابن باز _رحمهم الله جميعا_.

وذهب جمع من العلماء إلى أنّ الأحياء من البشر لا يسمعون شيئاً من عذاب أهل القبور، باستثناء النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_، وممن قال بذلك القرطبي في كتابه (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، والشيخ الألباني _رحمهم الله جميعا_، وكذلك الشيخ صالح الفوزان _حفظه الله تعالى_.

وبعد استعراض أدلّة الفريقين يترجّح للباحث القول الثاني، وهو أنّ الأحياء من البشر لا يسمعون ولا يطّلعون على شيءٍ من عذاب أهل القبور، باستثناء النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_ لقوّة أدلّة هذا القول، وصحتها سندا، وسلامة متنها من الاضطراب، منها ما هو متفق عليه بين البخاري ومسلم، ومنها ما راواه أحدهما، وأنّه لا يمكن معارضة الصحيح الثابت عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ بأحاديث ضعيفة، ولا بقصص يحكيها رجال غير معصومين.

فهرس المصادر والمراجع

ـ الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، صالح بن فوزان الفوزان،ص٢٢٠، مكتبة الرشد، الرياض،ط٣، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

ـ أهوال القبور، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، المحقق: عاطف صابر شاهين، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

ـ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور/الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

ـ التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل ومَعْرِفة الثِّقَات والضُّعفاء والمَجَاهِيل، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دراسة وتحقيق: د/شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

ـ تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

ـ الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ ١٩٥٢م.

ـ دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق/ د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ـ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،ط٩، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، تحقيق/د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.

ـ شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

ـ صحيح البخاري، تحقيق/محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

ـ صحيح مسلم، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ الضعفاء لأبي زرعة الرازي في أجوبته على أسئلة البرذعي، تحقيق/سعدي بن مهدي الهاشمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ فتاوى نور على الدرب، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

ـ القبور، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق/طارق محمد سكلوع، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

ـ الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٨،١ه ١٩٩٧م.

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق/حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، بيروت.

ـ مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق/ الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ـ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب/فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

ـ المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

ـ من عاش بعد الموت، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق/محمد حسام بيضون، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

ـ موسوعة العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني في العقيدة، صَنَعَهُ/شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.

فـــهـــرس الـــمـــوضـــوعـــات

ت	العنوان	رقم الصفحة
١	المقدمة	٢
٢	المطلب الأول: (القائلون بإمكان الاطّلاع والسماع وأدلتهم)	٤
٣	المطلب الثاني: (القائلون بنفي الاطّلاع والسماع وأدلتهم)	١٥
٤	المطلب الثالث: (الترجيح)	٢٠
٥	الخاتمة	٢٣
٦	فهرس المصادر والمراجع	٢٤
٧	فهرس الموضوعات	٢٦